مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م٧ ، ص ص ٨٥ – ١١٣ (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)

عثمان بن عبدالرحمن المضايفي أمير الطائف والحجاز في الدولة السعودية الأولى

إبراهيم بن محمد الزيد
أستاذ مشارك – قسم التاريخ – جامعة الملك عبدالعزيز – جدة

المستخلص . جرى التركيز في هذا البحث على التعرف على عثمان بن عبدالرحمن المضايفي ، وهو من أهم الرجال الذين برزوا في القرن الثالث عشر الهجري في غرب شبه الجزيرة العربية . فقد كان وزيراً لأمير مكة غالب بن مساعد الشريف ، وتزوج أخته فكان صفيه وأثيره . كلفه غالب بقيادة سرية واحدة على الأقل لمقاومة أتباع السعوديين ، ولما تكاثر انضمام القبائل التابعة لأمير مكة لدولة التوحيد أحس غالب أن ذلك يعود لنقض السعوديين الصلح الذي بينهم وبينه ، لذلك قرر إرسال وفد إلى الدرعية برئاسة المضايفي لإقناعهم بالالتزام بالصلح .

وفي الدرعية حدث ما لم يتوقعه غالب وهو انضمام المضايفي إلى جانب الدولة السعودية الأولى ، فتعين المضايفي بموجب ذلك أميرًا للطائف وما يليه من الحجاز وزود برسائل لقادة القبائل . وكان تعيينه ضربة لسياسة الشريف غالب لمعرفة المضايفي بجوانب الضعف والسلبيات لديه ، وقد تمكن المضايفي من الاستيلاء على الطائف وما والاه من البلدان ودعا القبائل للانضمام إلى جانبه وحارب من امتنع حتى أصبح الطائف وقبائل الحجاز تابعة للدولة السعودية الأولى ، ثم واصل جهوده للتضييق على أمير مكة وساعده في ذلك عبدالوهاب أبونقطة أمير عسير ، وسالم بن شكبان أمير بيشة وغيرهما فاضطر غالب إلى الصلح والدخول في طاعة السعوديين .

وبما أن المضايفي كان رئيس قبيلة عدوان فقد تم الحديث عن تاريخها القديم بشكل موجز . ومن أجل ربط الماضي بالحاضر جرى ذكر أفخاذ القبيلة في الوقت الحاضر ومقر سكناها قديما وحديثا مع ذكر سبب ضعف القبيلة وتشتتها .

تم في هذا البحث إيضاح انضمام غالب بن مساعد إلى قوات محمد علي باشا التي غزت الجزيرة العربية من أجل القضاء على الدولة السعودية الأولى ، ودعوته هذه القوات لدخول مكة وفتحه الأبواب لها مما أضعف مركز السعوديين حتى اضطروا للانسحاب والتراجع إلى مابعد الطائف ، كما خرج المضايفي من الطائف خوفا من بقائه في المدينة ولكنه واصل المقاومة ضد الغزاة في الضواحي القريبة من الطائف حتى تمكنت القوات الغازية من أسر المضايفي في شرق الطائف وإرساله إلى مصر ومن ثم إلى اسطنبول حيث جرى إعدامه هناك ، يرحمه الله .

مقدمة

مضت سنوات وكلما مر على الباحث ذكر عثمان بن عبدالرحمن المضايفي ، رئيس قبيلة عدوان اشرأبت النفس إلى معرفة المزيد عن هذا العَلَم الذي ينتمي إلى قبيلة تعتبر من أشرف القبائل ، وتذكر القبيلة ورجالها : ذي الأصبع العدواني ، وعامر بن الضرب خطيب العرب الذي لايعدلون بفهمه فهما ولابحكمه حكما ، وأبو سيارة عميلة بن الأعزل الذي يدفع بالناس في الجاهلية من عرفة . وإذا كانت القبيلة قد أحاط بها بعض الضعف وابتليت بالتشتت نتيجة لخلافات داخل القبيلة ، فإنها قد تبوأت مكانة مرموقة في القرن الثالث عشر الهجري بعد أن نبغ فيها ومنها عثمان بن عبدالرحمن المضايفي ، وأصبح وزيرًا يكلف بقيادة السرايا لدى شريف مكة . وعندما انضم عثمان إلى الدولة السعودية الأولى تزايدت أهمية القبيلة خاصة وقد أصبح منها أمير الطائف والحجاز .

لقد أخلص الأمير عثمان لدولة التوحيد فأعطته الثقة الكاملة فراح بحماس يقاتل ويناضل لمدة أحد عشر عامًا كان رفيقه السيف لايفارقه ولايفك حزامه ، ولايخرج من عجاج موقعة إلا ويسعى إلى غبار أخرى في حزم وصبر منقطع النظير ، تراه اليوم في موقعه في إمارة الطائف والحجاز فإذا به في اليوم التالي يقود الجيش ليستولي على القنفذة على ساحل البحر الأحمر في غرب شبه الجزيرة العربية ، وينتقل بجيشه من ذلك الميدان إلى مر الظهران (المسمى وادي فاطمة) ، وإلى الزيما وإلى السويرقية ، وإلى عشيرة . ثم تستدعي الظروف السياسية والعسكرية فيتوجه إلى الدرعية ، ويعود ليحاصر جدة التي يلجأ إليها غالب بن مساعد أمير مكة عندما يختلف مع الدرعية ، كما يتوجه لمحاصرة الحسينية في الجنوب الشرقي لمكة المكرمة وهي موقع حصين لغالب بن مساعد فيستولي عليها . ثم يفاجئك فيظهر في جنوب شبه الجزيرة العربية فتراه في ميناء الشقيق في تهامة عسير . ويندفع أكثر إلى مور واللحية والحديدة في اليمن ، ويخوض معارك هناك والمواصلات والظروف المادية صعبة كما هو معلوم . ولما بدأ حمود أبو مسمار الشريف الحسني يفعل ما يفعله غالب بن مساعد من الخضوع للدرعية ظاهرًا بينما يسر الخلاف والتمرد دخل في عراك مسلح إلى جانب عبدالوهاب أبونقطة أمير عسير ضد أبومسمار في تهامة عسير لإعادته إلى جادة الصواب ...

كل هذا جعل عثمان رمزًا للنضال والصبر والإخلاص وكلما مر على الباحث نص من النصوص التاريخية وهي مفرقة هنا وهناك . عرف الدارس أنه أمام قائد يتمتع بمزايا ومواهب قيادية وإدارية مكنته من قيادة وتوجيه آلاف الجنود ، بل إنه قائد يتمتع بقدرة على التنسيق مع القادة السعوديين الآخرين فكان يتفق معهم ولايختلف فقد كان في كل السنوات التي قضاها في إمارة الطائف والحجاز ينسجم مع زملائه أمراء الولايات الأخرى ومن أمثلة ذلك اتفاقه وانسجامه مع عبدالوهاب أبونقطة أمير عسير ، وسالم بن شكبان أمير بيشة وهادي بن قرملة ، وربيع بن زيد رئيس الدواسر . أذ المهم عنده ليس التفرد بالزعامة وقيادة الجيش ، وإنما بلوغ الهدف والانتشار السريع لدعوة التوحيد في كل مكان .

ومع عظم الدور الذي اضطلع به هذا القائد فإن المعلومات المسجلة في المصادر المتوفرة قليلة مع التشابه والتكرار ، لأن مؤرخي تلك الفترة يهتمون أكثر بالقضاة والعلماء فيترجمون لهم بتفصيل بينما يتخلون عن هذا عندما يتعلق الأمر بقائد أو والٍ مع أهمية الدور الذي قام به وغيره من الولاة . لقد تعرض المضايفي لمتاعب ومخاطر جمة في حياته فلم يساوم على المبادىء ولم يهرب من مواجهة الأخطار حتى تم ما قضاه الله من تآمر على الدولة السعودية ورجالها فتم أسره وتغريبه وقتله في تركيا يرحمه الله . ولو شاء بإذن الله لعاش هانئا وهو وزير لدى أمير مكة صهره وصفيه ، زوج أخت الأمير غالب .

وإذا قام الباحث اليوم بكتابة هذا البحث عن هذا الأمير فالشكر لحفيده الشيخ سعد بن علي بن عثمان المضايفي القاضي بمحكمة الطائف على ما قدمه من معلومات ومرافقته في التجول في مرابع الأمير عثمان التي أوحت بذكريات جمة . وأخيرا فإن الباحثين في المملكة العربية السعودية مدعوون إلى شيء من الاهتمام للأمراء وحكام الولايات في الدولة السعودية لإبراز مواقفهم في بناء الدولة . وعسى أن يقود ذلك إلى إنجاز معجم عن الأمراء والولاة في الدولة السعودية . والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل ،،، .

١ – قبيلة عدوان

تنتمي القبيلة إلى عدوان ، واسمه الحارث بن عمرو بن قيس بن[١] عيلان بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وسمي عدوان لأنه عدا على أخيه فهم فقتله . كانت منازلهم في الطائف نزلوها بعد إياد والعمالقة ثم غلبتهم عليها ثقيف[٢] وسراتهم هي التي تلي جنوب الطائف وكانوا

(١) **القلقشندي ، أبو العباس أحمد** ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، بيروت دار الكتاب ١٤٠٠هـ ، ص٣٥٤ .

(٢) **القلقشندي** ، ص٣٥٤ .

مختلطين مع شبابه في سكنى أعلاها ثم تنحدر بلادهم وهم مشرقة ومن بلادهم يصاع ، والثوار وبطن قطن ، والنجار وبقران . وقد انحدرت عدوان إلى أمكنة ليست بعيدة عنها حيث تنتشر أودية الطائف قرب مغيضها بركبة في ضفاف وادي شرب والأخيضر بعد أن أجلتهم ثقيف وهم أصهارهم[٣] .

وليس بصحيح ما ذكره ابن دريد في (الاشتقاق) من أن قبيلة عدوان فنيت في الدهر الأول لبغيهم[٤] ، ولكن ينبغي أن يقال إنه وقعت بينهم وبين قبيلة خزاعة حروب أضعفت القبيلة ، ثم وقعت حرب بين فروع القبيلة نفسها فكادت تقضي عليها ، وهي التي سببت تفرقها . وسبب ذلك ابن بني ناج بن يشكر بن عدوان أغاروا على بني عوف بن سعد بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان ، فقتلت بنو ناج ثمانية وقتلت بنو عوف رجلا وتفرقوا على حرب . وكانت القتلى من بني وائلة بن عمرو بن عباد وكان سيدا فأصلح سائر القوم على الديات ورضوا إلا أن أحد بني ناج حمل قومه على رفض دية الرجل الذي قتل منهم واعتزل . فسعى ذو الأصبع العدواني للصلح وقال : قتل منا ثمانية نفر فقبلنا الدية وقتل منكم رجل فاقبلوا ديته فأبوا . فكان ذلك مبدأ حرب بعضهم بعضا حتى تفانوا وتقاطعوا[٥] .

وفي تفرق عدوان قال ذو الأصبع العدواني :

أبعد بني ناج وسعيك فيهم ... فلا تتبعن عينيك ما كان هالكا
إذا قلت معروف لأصلح بينهم ... يقول مرير لا أحاول ذلك
فأضحوا كظهر العود جب سنامه ... يدب إلى الأعداء أحدب باركا
فإن تك عدوان بن عمرو تفرقت ... فقد غيبت دهرا ملوكا هنالك

كما قال قصيدة أخرى ، منها :

عذير الحي من عدوان ... كانوا حية الارض
بغى بعضهم بعضا ... فلم يبقوا على بعض
فقد صاروا أحاديث ... برفع القول والخفض

---

(٣) **حمد الجاسر** ، في سراة غامد وزهران ، الرياض منشورات دار اليمامة ١٣٩١هـ ، ص٤٧٠ .

(٤) **محمد بن الحسن بن دريد** ، الاشتقاق ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، القاهرة مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٨هـ ص٢٦٩ .

(٥) في سراة غامد وزهران ، ص٤٧٠ .

ومنهم كانت السادا ت والموفون بالقرض
وهم بووا ثقيفا دا ر لاذل ولا خفض
لهم كانت أعالي الأر ض فالسران فالعرض
إلى ما جازه الحزن فما أسهل للخفض
إلى الكفرين من نـ ـخلة فالدارة فالمرض
لهم كانت جمام الما ء ، لا المزْجَىٰ ولا البرض

وقالت أمامة بنت ذي الأصبع ترثي قومها :

كم من فتى كانت له ميعة أبلج مثل القمر الزاهر
قد لقيت فهم وعدوانها قتلا وهلكا آخر الغابر
كانوا ملوكا سادة في الورى دهرا لها الفخر على الفاخر
حتى تساقوا كأسهم بينهم بغيا فيا للشارب الخاسر[٦]
بادوا فمن يحلل بأوطانهم يحلل برسم مقفر داثر

قال ابن خلدون : بعد غلبة ثقيف عليهم خرجوا إلى تهامة ، وبأفريقية لهذا العهد (أي في القرن الثامن الهجري) منهم أحياء بادية بالقفر يظعنون مع بني سليم تارة ومع رياح بني هلال بن عامر أخرى[٧] . ومن عدوان رهط في خليص وقديد محالفين زبيد[٨] . ويظهر من جراء الحروب المشار إليها سابقا انضواء قسم من قبيلة عدوان في قبيلة زهران الكثيرة الفروع الحصينة البلاد ، حيث نجد الآن من هذه القبيلة فرعا كبيرا وأفخاذا عديدة ، يدعى عدوان يجاور دوس أحد فروع زهران الكبيرة . وقد يكون هناك من الصلات بين زهران وعدوان في القديم ما نجهله الآن مما دعا إلى الاتصال بينهما[٩] .

وقد استقرت قبيلة عدوان في بلادهم التي تحولوا إليها من مدينة الطائف في الشمالي الشرقي لمدينة الطائف بالقرب من سوق عكاظ التاريخي وعلى مقربة من مطار الحوية في الناحية الجنوبية الشرقية . ولقبيلة عدوان تفرغات وأفخاذ قديمة وحديثة على النحو التالي :

---

(٦) نفس المصدر ، ص ص ٤٧١ – ٤٧٢ .

(٧) **عبدالرحمن بن خلدون** ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة د .ت ، ج٢ ، ص٦٣٠ .

(٨) **عاتق بن غيث البلادي** ، معجم قبائل الحجاز ، دار مكة للنشر والتوزيع ١٣٩٩هـ ، ص٣٠٢ .

(٩) في سراة غامد وزهران ، ص ص ٤٧١ – ٤٧٢ .

١ – أما ولد عدوان وتفرعاتهم في القديم فقد ولد عدوان : زيدا ، ويشكرا ، ودوسا ويقال لهم دوس الذين في الأزد ، فولد زيد ، وابشا ، وغالبا وعامرا وهوعيابة . وولد وابش هم ، الحارث ، وعبل ، وكبل . فولد الحارث سعدا ومعاوية ، وربيعة في الأزد على نسب فيهم . وولد معاوية نميرا وغزية ، فولد نمير جابرا ورؤبة ، وولد سعد بن الحارث بن وابش : خالدا ، وولد عبس بن وابش نَوْصا . فولد نَوْص : ظالما ، وكاهلا ، وعامرا ، والوارم حسيلا ، وأحمر ، والمستدر ، وهم كلهم يقال لهم : الجلام . وولد يشكر بن عدوان ، ناجا وبكرا ، وعياذا ، فولد بكر عوفا وخارجه ويثيغا ، وهم مع ثمالة في الحجاز أمهما خارجة البجلية ، وولد عوف عديا وعادية وسحيما ، ووشقة رهط يحيى بن يعمر كان قاضيا بخراسان ، وولد عياذ بن يشكر : عمرو فولد عمرو : ظربا ، وحجرا ولهبا ، ووائلة ، وربابا ، ومالكا ، وملكان ، فولد ظرب : عامرا حكيم العرب ، وثعلبة وسعدا ، وعمرا ، وصعصعة ، فولد سعد عوفا في الكوفة ، فولد عوف : دهمان ومالكا فمن ولد ناج بن يشكر ، عبسا ورهما وودا ، وعمرا ، فولد عمرو : وائلة ، وولد رهم بن ناج : جذيمة ، وعليا ، وثعلبة ، وولد ثعلبة بن رهم : الدرعاء ، والحارث ، وعوف ، وولد علي بن رهم : سعدا ، وعمرا ، وعايشا ، وأنسا ، وعديا ، فولد عمرو ناصره[١٠] .

ومن أشهر رجالهم : ذو الأصبع العدواني[١١] حكيم العرب ، وهو حرثان كان جاهليا وسمي بذي الأصبع لأن حية نهشت إصبعه[١٢] . ومنهم عامر بن الضرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان خطيب العرب وحكيمهم . وهو رئيس جاهلي ، إمام مضر وفارسها ، حرم الخمر في الجاهلية . لاتعدل العرب بفهمه فهما ، ولا بحكمه حكما . هو أول من قرعت له العصا[١٣] . ومن رجالهم أبو سيارة وهو عميلة بن الأعزل بن خالد بن سعد بن الحارث بن وابش ، كان يدفع بالناس في المواسم في الجاهلية من عرفة ، وكان يخطب الحجاج وهو يتقدمهم ويقول اللهم أصلح بين نسائنا وعاد بين رعائنا ، واجعل المال في سمائحنا ، وأوفوا بعهدكم ، وأكرموا جاركم ، وأقروا ضيفكم . ثم يقول : أشرق ثبير كيما نغير . فلما قوي أمر قصي صار أمر الإجازة إليه[١٤] . قام الإسلام وهو يجيز بالناس على أتان له عوراء ومكث يدفع عليها في الموقف أربعين سنة حتى أخذتها قريش[١٥] . وهو أول من جعل الدية[١٦] مائة . وله يقول الراجز :

---

(١٠) نفس المصدر ، ص ص ٣٧٣ ، ٤٧٥ ، ٣٧٦ .

(١١) نفس المصدر ، ص٤٧٠ .

(١٢) نفس المصدر ، ص٤٧٤ .

(١٣) **خيرالدين الزركلي** ، الأعلام ، ج٤ ، ص٢٠ .

(١٤) **في سراة غامد وزهران** ، ص٤٧٣ .

(١٥) **نادية صقر** ، الطائف في العصر الجاهلي جدة ، دار الشروق ١٤٠١هـ ، ص٣٣ .

(١٦) **أبو الفداء الحافظ بن كثير** ، البداية والنهاية ج٢ ، بيروت :مكتبة المعارف الرياض: مكتبة النصر ، ١٣٨٦هـ ، ص٢٠٦ .

خـلوا السـبيل عـن أبـي سيـارة وعـن مواليـه بنـي فـزاره
حتـى يجيـز سـالمـا حمـاره مستقبـل القبـلة يدعـو جـاره[١٧]

٢ – أما قبيلة عدوان في الوقت الحاضر فتتصل حدودها بقبائل الطفحة من عتيبة ، والعصمة من عتيبة ، والأشراف . وأشهر قراهم على وادي ليه في الطائف أم الشرم ، والعبيلاء والمجنب الأعلا والأسفل ، وصلبة ، والبارد وهي آخر مزرعة لهم على وادي ليه ، وقراهم على وادي العرج : الفرايد ، والعقرب وهي لآل عثمان المضايفي .

ويقدر عددهم اليوم بألفي نسمة تقريبا . وكانت قبيلة عدوان إلى مطلع القرن الثالث عشر الهجري ثمانية عشر بطنا فلما وقعت الفتنة بين زعيمهم عثمان المضايفي وبين أشراف مكة بسبب انضمام عثمان إلى دولة آل سعود تفرقت بطون عدوان فلم يبق منهم الآن في مساكنهم سوى أربعة[١٨] بطون . وتنقسم القبيلة إلى البطون التالية :–

أ – الجماهرة ، ومن أفخاذهم : ذوو عبدالرحمن ، وذوو سليمان وذوو مسعود .
ب – الحزاما ، ومن أفخاذهم : ذوو دخيل الله ، وذوو علي .
جـ – ذوو بنيه .
د – ذوو شعيل .
هـ – ذوو ثنيان .
و – الجُهْبَان .

ومن عدوان في النسب الخماميش سكان وادي شرب والحوية في الطائف . وقد دخل الخماميش في قبيلة القثمة كما ذكر شيخ قبيلة عدوان منصور بن عثمان العدواني . ولهم من الأفخاذ : اللهامية ويقال لهم ذوو سالم وذوو سنان وذوو هريس وذوو مبارك وذوو سعد . وهؤلاء جميعا ينتسبون إلى جار الله بن حمود العدواني الملقب بالخماش . وذوو مسيعيد وهم أبناء عم لعقب جارالله المذكور والحرابية[١٩] .

وفي القرن الثالث عشر نبغ في قبيلة عدوان عثمان بن عبدالرحمن المضايفي فأصبح للقبيلة صيت ومكانة خاصة بعد أن تصدرت القبيلة الفيالق في نصرة دولة التوحيد التي أقامها آل سعود في الدولة السعودية الأولى ، بقيادة الأمير عثمان أمير الطائف والحجاز .

---

(١٧) في سراة غامد وزهران ، ص٤٧٣ .
(١٨) **محمد سعيد كمال** ، الأزهار النادية من أشعار البادية ، مكتبة المعارف ١٣٩١هـ ، ص١٥ ، ٨٤ ، ٨٥ .
(١٩) **عبدالله بن عبدالرحمن البسام** ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ١٣٨٩هـ ، ج١ ، ص ص ٣١٩ – ٣٢١ .

أما الشيخ سعد بن علي بن عبدالله بن عثمان المضايفي العدواني حفيد الأمير عثمان ، فقد ذكر أقسام قبيلة عدوان على النحو التالي :

الحزاما ويسكنون قرية صلبة والباردة بوادي عدوان . الدراريج ، وكانت لهم أملاك في وادي الأخيضر ، والسحامين منهم سحيم العدواني والخضارية ، وكانت لهم بلاد العريقين ، والثنايين كان يرأسهم علي بن ثنيان العدواني والجُهْبَان ، ويسكنون تهامة في ضواحي مكة ، وذوو بنيه ، والخماميش وذوو مساعد بوادي شرب ، والصلابية ومنهم ذوو شعيل ، والرواضين ، وذوو شباب[٢٠] .

ومن مشاهير قبيلة عدوان الآن الشاعر المعروف ناصر بن محمد بن عبدالله بن عثمان بن عبدالرحمن المضايفي العدواني وهو شيخ قبيلة عدوان[٢١] . ومن آل جمهور القاضي سليمان بن محمد بن منصور بن جمهور العدواني نزل أهله جلاجل في سدير ثم سكن الرياض . وهو قاض تولى القضاء في عهد الملك عبدالعزيز يرحمه الله في رنية ، ثم في هجرة العجمان الصرار ، ثم مستشارا شرعيا بمكة ثم في أبها[٢٢] ت ١٣٦١هـ .

وفي عالم العرب من يطلق عليهم عدوان ولكن ليس هناك دليل قاطع على أنهم من عدوان الطائف ، مثل عدوان الذين ينزلون غور نمرين من (الشونة)[٢٣] في الأردن ، وعدوان بطن من العمور من لواحق الأحسنة من عنزة في ضواحي حمص ، وعدوان من بطون الظفير .

نسب عثمان المضايفي

ينتمي الأمير عثمان بن عبدالرحمن المضايفي إلى فخذ الجماهرة من قبيلة عدوان . ولم تشر المصادر إلى شيء من حياته وطفولته وتاريخ ميلاده ومكان ذلك . غير أن حفيده الشيخ سعد بن علي بن عبدالله بن عثمان المضايفي القاضي بالمحكمة الشرعية في الطائف ذكر للباحث فقال : لقد قيل إنه ولد في نجد في وقت غير معروف . ووالده من وجهاء القبيلة ، أما والدته فهي من قبيلة العصمة من قبيلة عتيبة .

---

(٢٠) **الشريف محمد بن منصور** ، قبائل الطائف وأشراف الحجاز ، الطائف : دار الحارثي للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ ، ص ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ .

(٢١) كتب هذه المعلومات وبعثها إلي الكاتب الشيخ سعد بن علي بن عبدالله بن عثمان المضايفي القاضي بمحكمة الطائف ، وحفيد الأمير عثمان المضايفي .

(٢٢) الأزهار النادية ١٥ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ .

(٢٣) علماء نجد خلال ستة قرون، ج١ ، ص‌ص ٣١٩ – ٣٢١ .

(٢٤) **فريدريك ج بيك** ، تاريخ شرق الأردن وقبائلها ، ترجمة : بهاءالدين طوقان ، عمان : الدار العربية للنشر ، ١٣٥٣هـ ، ص٣٧٧ .

علاقة عثمان بأمير مكة المكرمة

ذكرت المصادر التاريخية المختلفة أن عثمان بن عبدالرحمن المضايفي عمل مع أمير مكة المكرمة غالب بن مساعد الشريف[٢٥] (ت ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م) وسمي بالمضايفي لأنه كان وزير الشؤون الخاصة لغالب . وكان على درجة عالية من الكفاءة اقنعت الشريف غالب أن يتخذه[٢٦] وزيرًا له وأن يكون صفيه وحميمه . وقد تزوج المضايفي بأخت الأمير غالب بن مساعد ، وهذا عائد إلى مكانة الأمير عثمان في قبيلة عدوان وشرف قبيلته وكفاءة عثمان ، فقد عرف أن قبيلة عدوان لايزوجون باقي القبائل اعتقادا منهم بعدم الكفاءة في النسب[٢٧] .

وخلال عمل المضايفي مع أمير مكة برزت كفاءته القيادية والإدارية ، الأمر الذي جعل أمير مكة غالب بن مساعد يعينه قائدا لحملة عسكرية وجهها ضد من دخلوا في طاعة ابن سعود . ففي السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان بعد المائتين والألف ترأس عثمان جمعا كثيرا من الفرسان من قبيلتي البقوم وعتيبة وغيرهما وغزا بهم . فصبح جماعة ابن فيحان بن قحطان بموضع يقال له عقيلان[٢٨] وصارت بينهم ملحمة عظيمة ، وحصل على عثمان إنكسار ، ذلك أنه بعد أن أخذ جميع إبل بن فيحان وطلع الفجر صال ابن فيحان على عثمان وأحاط به وهزمه ، ولكنه لم يستطع أن ينتزع منه ما أخذه من الإبل فامتنع منه حتى رجع إلى مكة[٢٩] .

سبب انضمام المضايفي إلى الدولة السعودية الأولى

اختلفت المصادر في سبب انشقاق عثمان المضايفي عن صهره غالب بن مساعد أمير مكة مع ما بينهما من قرابة :

١ – فقد أرجع ذلك مؤلف (خلاصة الكلام) إلى رغبة المضايفي في الحصول على الإمارة ، فذكر أنه في سنة ١٢١٧هـ أرسل الشريف غالب إلى الدرعية رحيمه عثمان المضايفي ، ومعه من كبار الأشراف السيد عبدالمحسن الحارث وجماعة منهم ابن حميد شيخ المقطة[٣٠] ، لأجل تجديد الصلح

---

(٢٥) **عمر رضا كحالة** ، معجم قبائل العرب ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٨٨هـ ج٢ ، ص٧٦٢ ، الأعلام ج٥ ، ص٣٠٤ .

(٢٦) **أحمد السباعي** ، تاريخ مكة ، نادي مكة الثقافي ، ١٣٩٩هـ ، ج١ ، ص٤٥٥ .

(٢٧) معجم قبائل الحجاز ج١ ، ص٢٠٣ .

(٢٨) ماء بين رنية وبيشة من مياه قبيلة سبيع ، عبدالله بن محمد بن عبدالشكور ، مختصر تاريخ مكة وشرفاؤها . **مجلة العرب** ١٣٩٦هـ ، ج١١ ، ١٢ ، ص٨١١ .

(٢٩) **أحمد زيني دحلان** ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٩٧هـ ، ص٢٣٦ .

والعهود وربط الأمر وإحكامه . فتوجهوا من الطائف فلما وصلوا الدرعية والتقوا بالإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود قدموا له المكاتيب فقابلهم بالبشاشة والترحيب . فأول ما نطق به عثمان أن قال : ياعبدالعزيز بشرني بالإمارة وأبشرك بمكة تملكها ، وأطلب منك أن تخلي لي المجلس لأمور سأبديها . فحدثه بكلام طاب له وأمره على الطائف وما حوله من العربان . وكتب رسائل لمشائخ القبائل وأخبرهم فيها أنه أقام عثمان أميرا عليهم وسلمها بيده[٣١] .

وفي رأي الباحث أنه لايمكن القبول بأن التلهف على الإمارة هو سبب انشقاق المضايفي لأن عثمان كان أميرا على قبيلته ، وعلى علاقة متينة بالشريف إذ تولى عنده مرتبة الوزارة ، كما جعله قائدا لغزواته .

٢ – ذكر خيرالدين الزركلي ، أنه اختلف مع الشريف غالب ورحل إلى نجد وبايع[٣٢]الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود . ولايمكن الأخذ برواية الزركلي لأن مؤلف (خلاصة الكلام) المتوفى عام ١٣٠٤هـ ، وهو أقدم منه ، لم يذكر شيئا عن الخلاف والرحيل إلى نجد بعد ذلك وعلى أثره ، وإنما سفر المضايفي إلى الدرعية كان ضمن وفد أُرْسِل إلى هناك كما أشير إليه أعلاه ، وتغير المضايفي لم يأت إلا بعد السفر والعودة من الدرعية .

٣ – ذكر ابن بشر (ت١٢٩٠هـ) أنه في السنة السابعة عشرة بعد المائتين والألف انتقض الصلح بين غالب الشريف وبين عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، وفارق الشريف وزيره عثمان بن عبدالرحمن المضايفي وخرج من مكة ، وترك الشريف ونايذه ، ووفد على عبدالعزيز وبايعه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة[٣٣] .

وعبارة ابن بشر ليس فيها التفصيل الذي ذكر في (خلاصة الكلام) . ويتردد الباحث في قبول أن المضايفي إنما ترك الشريف غالبا بسبب نقض الصلح ، لأن المضايفي ليس طرفا في الصلح ولا ضمانا لتنفيذه حتى يغضب لذلك ، لكن ذلك يتصل بفلسفة الحكم القائم في مكة والدرعية . وقد علق على الموضوع عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم قائلا : وتلزم معظم المصادر الأصلية الصمت إزاء خروج عثمان المضايفي عن طاعة الشريف وانضمامه إلى جانب آل سعود ، فلا تزيد على أن هذا الانشقاق حدث نتيجة لخلاف الشريف وصهره عثمان ، ولكن على أي شيء كان الخلاف بينهما فلا

---

(٣٠) **خير الدين الزركلي** ، ما رأيت وما سمعت ، تعليق : عبدالرزاق كمال ، الطائف : مكتبة المعارف ، ١٣٨٩هـ ، ص٢٠٣ .

(٣١) خلاصة الكلام ، ص ص ٢٧١ ، ٢٧٢ ، مختصر تاريخ مكة وشرفاؤها ، مجلة العرب ١٣٩٦هـ ، ج ١١ ، ١٢ ، ص٨٢٤ .

(٣٢) الأعلام ج٤ ، ص٢٦٩ .

(٣٣) **عثمان بن بشر** ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، تحقيق : عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ على نفقة وزارة المعارف ، ١٣٩٤هـ ، ج١ ، ص١٦٢ .

تذكر شيئا من ذلك[٣٤] .

٤ – ذكر سانت جون فلبي : إن غالبا كان قد طرد رئيس وزرائه عثمان المضايفي بسبب غير معروف فتوجه عثمان رأسا إلى الدرعية يعرض خدماته وولائه[٣٥] . في الواقع أن الشريف غالب لم يطرد المضايفي من عمله لديه وإنما أوفده مع وفد من قبله للتفاهم مع الدرعية حول الصلح المبرم بين الإمام عبدالعزيز والشريف غالب كما ذكر ذلك سابقا .

ويورد بعض المؤلفين :

أ – أن الدافع الحقيقي وراء انضمام عثمان المضايفي إلى الدولة السعودية السلفية في الدرعية هو كما ذكره عبدالرحيم عبدالرحمن من أن بعض المصادر عزى ذلك إلى أن عثمان أعجب بالنظام السعودي واقتنع بمبادىء الدعوة أثناء وجوده بالدرعية موفدا من قبل الشريف غالب[٣٦] .

ب – بينما أورد الشيخ عبدالله البسام أن صدر عثمان انشرح للعقيدة السلفية فصار من أكبر أعوانها[٣٧] .

جـ – ويعزو البهكلي سبب انحياز المضايفي إلى جانب الموحدين إلى أن قلبه خالطته بشاشة الدعوة النجدية بعد أن بعثه غالب في بعض المرات إلى عبدالعزيز رسولا من قبله[٣٨] .

د – كما قال سليمان باشا كمالي باشا ، حاكم عسير التركي سابقا : إن المضايفي كان مقتنعا بالوهابية خفية .

هـ – وأخيرا ذكر سعد بن علي بن عبدالله بن عثمان المضايفي القاضي بالمحكمة الشرعية بالطائف وحفيد الأمير عثمان إن سبب تحول جده عن أمير مكة غالب بن مساعد أنه قد حضر بعض علماء الدعوة السلفية من الدرعية إلى علماء مكة وشرحوا لهم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأنها دعوة سلفية موافقة لما جاء في الكتاب والسنة فتيقن عثمان أنها دعوة صحيحة موافقة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فشرح الله صدره لها ، وكان من أنصارها وجاهد بماله ونفسه .

ويميل الباحث هنا إلى هذه الآراء الخمسة للواقع والمنطق الذي تقوم عليه .

---

(٣٤) **عبدالرحيم بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم** ، الدولة السعودية الأولى ، دار نافع للطباعة مصر ، ١٣٩٧هـ ، ص١٤٢ .

(٣٥) **سانت جون فلبي** ، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ترجمة : عمر الديراوي ، بيروت المكتبة الأهلية ، د.ت ، ص١٠٠ .

(٣٦) الدولة السعودية الأولى ، ص١٤٣ .

(٣٧) علماء نجد خلال ستة قرون ، ج١ ، ص٣١٩ .

(٣٨) **عبدالرحمن بن أحمد البهكلي** ، نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود ، تحقيق : محمد بن أحمد العقيلي ، الرياض : دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٠٢هـ ، ص٢٠١ .

(٣٩) **عبدالفتاح حسن أبوعلية** ، المخطوط التركي ، الرياض ، دار المريخ ، د.ت ، ص٥٠ .

أثر انضمام المضايفي إلى الدولة السعودية في نجد

من أثر انضمام عثمان بن عبدالرحمن المضايفي ، يرحمه الله ، إلى دعوة التوحيد أن الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، يرحمه الله ، عين المضايفي أميرًا للطائف والحجاز ، وزوده برسائل إلى مشايخ القبائل يعلمهم بهذا التعيين ، ويطلب منهم طاعته ومساعدته وإعطاء الولاء لآل سعود فأطاعوه(٤٠) . كما ذكر عبدالرحيم أن لانشقاق عثمان أثر كبير في إضعاف كفة الأشراف فبعد إعلانه الانشقاق ونزوله قرية العبيلاء(٤١) ، انضمت إليه كثير من قبائل الحجاز وأعلنت خروجها على الأشراف(٤٢) . وقد نظر أبو عليه إلى أثر انضمام المضايفي إلى الدرعية فقال : وكان لهذا أثر كبير لأن الكثيرين من مؤيدي المضايفي قد انسلخوا عن غالب(٤٣) .

أما الدكتور عبدالله العثيمين فقال : ومهما كانت الأسباب وراء تغيير عثمان المضايفي لموقفه من الشريف فإن ذلك الحدث كان كسبا عظيما للسعوديين لأن عثمان قريب من غالب وعلى علم بنقاط ضعفه العسكري(٤٤) .

مغازي المضايفي وتحركاته العسكرية

في جمادى الأولى من سنة ثلاث عشرة بعد المائتين والألف عقد صلح بين الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود (ت ١٢١٨هـ) رحمه الله ، وبين شريف مكة غالب بن مساعد بعد مكاتبات بينهما . وجعلوا حدودا للقبائل التي أطاعت كلا منهما ، فكان ممن في حدود غالب ما حول مكة والمدينة والطائف وبنو سعد(٤٥) وناصرة(٤٦) وبجيلة(٤٧) وغامد وزهران(٤٨) والمخواة وبارق(٤٩) ومحائل .

---

(٤٠) خلاصة الكلام ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٤١) تقع في الشمال الشرقي لمدينة الطائف وتبعد عنه ثلاثين كيلو ، ابن بشر ، ج١ ، ص١٦٢ .

(٤٢) الدولة السعودية الأولى ، ص١٤٤ .

(٤٣) **عبدالفتاح أبوعلية** ، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى، الرياض ، دار المريخ ، ١٤٠٢هـ ، ص٥٤ .

(٤٤) **عبدالله العثيمين** ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٤هـ ، ج١ ، ص١٣٠ .

(٤٥) قبيلة من هوزان في الجنوب الشرقي للطائف ، **القلقشندي** ٢٩٠ ، انظر أفخاذهم في العصر الحديث في : **عبدالرحمن بن زيد المغيري** ، المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب ، تحقيق : إبراهيم محمد الزيد ، ١٤٠٥هـ ، ص١٨ ، قبائل الطائف ، مرجع سابق ، ص٧٢ .

(٤٦) فخد من قبيلة بلحارث في الجنوب الشرقي للطائف ، قبائل الطائف ، مرجع سابق ، ص١٤٩ ، وفيه أفخاذهم المعاصرة .

(٤٧) وشهرتهم الآن «بنو مالك» وهم قبيلة في الجنوب الشرقي لمدينة الطائف ، انظر أفخاذهم المعاصرة في المنتخب ص٤٦٥ .

(٤٨) من قبائل الأزد ، انظر أفخاذهم في المنتخب ، مرجع سابق ، صص٤٧٧ ، ٤٤٩ .

(٤٩) مدينة في تهامة منطقة الباحة ، **علي بن صالح السلوك الزهراني** ، المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران ، الرياض: منشورات دار اليمامة ، ١٣٩١هـ ، ص٢١٧ .

واتهم السعوديين بمخالفة الاتفاق حيث راحوا يكاتبون القبائل خفية ويرسلون من يفسدهم حتى انتقض الصلح بالرغم من المسالمة ووقف الحرب . وقد سمح للسعوديين بالحج . ومن بين من كاتبهم الإمام السعودي شيخ محائل وشيخ بارق[٥٠] . وكانت هذه المراسلة سببا في دخول جميع قبائل الحجاز في دعوة التوحيد[٥١] . لذا قام غالب بن مساعد فأرسل وفدا إلى الدرعية برئاسة صهره ووزيره عثمان بن عبدالرحمن المضايفي ، كما ذكر سابقا[٥٢] ولما عاد المضايفي من الدرعية راح في الطريق يمدح الدعوة لمن معه من الوفد ويرغب في الدين إلى أن وصل إلى العبيلاء[٥٣] ولديه حصن منيع على جبل فدخله ونصب له بيرقا وأظهر الإمارة ، وعزم على شن الغارات على المعارضين .

وكان بالطائف الشريف عبدالمعين بن مساعد وكيلا عن أخيه غالب فأرسل المضايفي له رسالة يأمره بالدخول في الطاعة . وأول من أطاعه من القبائل الطفحة[٥٤] ثم النفعة والعصمة فغزا بهم على الزوران في ليه بالطائف فاستجابوا له بعد قتال ، ثم غزا بهم على عوف[٥٦] في أسفل وادي ليه وطال بينه وبينهم القتال فرجع إلى حصنه ثم خرج بمن معه على العرج[٥٧] فأخذهم وعاد إلى حصنه العبيلاء .

وفي الثامن عشر من رمضان عزم الشريف غالب أن يتوجه بنفسه فجمع الكثير من الجنود والذخائر ، فقصد العبيلاء ومعه أخوه عبدالمعين فأحاطوا بالحصن من الجوانب الأربع ورموه بالمدفع فامتنع عليهم فتحه وأدركهم العيد في العبيلاء فعيد هناك ، ثم دخل الطائف وأقام بها أياما ثم رجع إلى العبيلاء مرة ثانية وحاصرها ولم يتمكن من الاستيلاء عليها فرجع إلى الطائف .

وفي الخامس والعشرين من شوال من نفس السنة أقبل عثمان المضايفي على الطائف لكي يرد على الشريف غالب اعتداءه . وتعزز جانبه بمدد كثيف من أمير بيشة سالم بن شكبان فأحاطوا[٥٨] بالطائف ، ونشب القتال طول النهار فلما غربت الشمس تباعدوا عن السور بعد أن أثرت فيهم المدافع والقلل . وفي اليومن الثاني تواصل القتال حتى جاء الليل فرجعوا إلى خيامهم[٥٩] . وفي الليل

(٥٠) مدينتان في تهامة منطقة عسير .

(٥١) خلاصة الكلام ص ص٢٦٧ -٢٦٩ .

(٥٢) انظر هامش (٣١) .

(٥٣) تقع في الشمال الشرقي للطائف وعلى بعد ٣٠ كيلو .

(٥٤) من قبيلة عتيبة ، قبائل الطائف ، ص٧٤ .

(٥٥) من قبيلة عتيبة وهم شرق الطائف شرقي كلاخ ، قبائل الطائف ، ص١١٠ .

(٥٦) من قبيلة عتيبة وهم في القيم والأخيضر وجليل وبسل وقملة وشرب ، المؤلف ، مرجع سابق ، ص١١٤ .

(٥٧) من قبيلة ثقيف ، المؤلف ، مرجع سابق ، ص٣١ .

(٥٨) قرية بالقرب من الطائف ينسب إليها الشاعر عبدالله بن عمر العرجي ، **عبدالله بن خميس** ، المجاز بين اليمامة والحجاز ، تهامة للنشر ، ١٤٠٢هـ ، ص٢٥٤ .

(٥٩) من الرمثين من قبيلة شهران ، إبراهيم بن عيسى ، تاريخ ذكر بعض الحوادث الواقعة في نجد ، تحقيق : الشيخ حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة ، د.ت ، ص١٢٩ .

حدث أن عربان الشريف تفرقوا ودخلهم الفشل ، وطلب منهم القعود ويعطيهم ما أرادوا من المال فأبوا . وظهر خلل كثير في السور والأبراج مما دعا جملة من الأشراف منهم عبدالله بن سرور إلى الرحيل عن الطائف والتوجه لمكة . وفي الصباح جاء من أخبر غالب أن عثمان المضايفي وسالم بن شكبان ومن معهم من العربات شوهدوا نازلين مع ربع الثمارة[٦٠] إلى مكة فعزم أن يسبقهم غالب إلى مكة من الطريق الثاني فغادر قصره في حوايا[٦١] ومر بالطائف وحرضهم على القتال[٦٢] . وبذل المال للعسكر ومن بقي من البوادي وأعطى كل واحد عشرة مشاخصة ونزل إلى مكة عن طريق المشاه . ولما غاب عن الطائف دخل أهل البلد الفشل وذهلوا وتركوا الحصون والأسوار وجاء دخيل‌الله بن حريب من أهل الطائف[٦٣] وأخبر جنود السعوديين برحيل غالب إلى مكة فأقبلوا على الطائف وتقدمهم عبدالله البويحث مع ابن حريب ليعرف مدى القوة الباقية في السور . وجاء إلى بيت إبراهيم الزرعة وهو من الأعيان والأغنياء فاتفق معه على مبلغ من المال يدفع لسلامة أهل البلاد فخرج البويحث ليأتي بالأمان من عثمان وسالم فرمى برصاصة من منارة فمات[٦٤] . فلما علم الجيش السعودي حملوا على السور فلم يجدوا من يدافعهم فخرج من خرج هاربا وانزوى البعض في بيت الفتني وبيت الفعر ، وبيت عيسى ودخل الطائف في الطاعة . وجمعوا من الطائف أموالا كثيرة ونقلوها إلى المخيم إلا الكتب فإنهم نشروها في الأزقة والأسواق ومكثت أياما لا يرفع منها شيء[٦٥] . ورحل سالم بن شكبان بينما بقي عثمان المضايفي أميرا على الطائف . وأخبر سعود بن عبدالعزيز ، يرحمه الله ، بما حدث فسر بذلك ، وكان في الدهناء غازيا نحو العراق على بعد سبعة أيام عن الدرعية فأسرع متوجها للحجاز وخيم سعود في عرفة يوم التروية ، وكان ذلك في سنة ألف ومائتين وسبع عشرة . ومن ذلك الوقت أخذ عثمان يغزو ويجاهد تحت راية دعوة التوحيد السلفية ، وصار من أكبر

(٦٠) خلاصة الكلام ، ص٢٧٣ .

(٦١) يقع هذا الربع في الطريق بين الطائف والحوية قبل فندق انتركونتيننتال بكيلين .

(٦٢) حوايا الآن حي في الطائف ، وكان من قبل قرية بها بساتين جميلة .

(٦٣) ضاحية غرب الطائف بها أجمل البساتين تسقى من عين جارية ، أما اليوم فقد جفت البساتين بسبب صرف الماء للشرب وأصبحت الآن حيا حديثا من أحياء الطائف .

(٦٤) من الأسر المعروفة في الطائف . وهم من قبيلة جهينة .

(٦٥) علق الشيخ حمد الجاسر على هذا فقال : هذا الخبر من الأمور التي توضح أسباب ما جرى في الطائف ، مجلة العرب ، ١٣٩٦هـ ج١١ ، ١٢ ، ص٨٢٧ .

(٦٦) علق الشيخ حمد الجاسر على هذا بقوله : لو صح هذا فإن الذين دخلوا الطائف ذلك العهد كانوا من البدو ، العرب ، ١٣٩٦هـ ، ج١١ ، ١٢ ، ص٨٢٨ ، ويرد على مؤلف خلاصة الكلام بأن سالم بن شكبان أمر بجمع الكتب الدينية وعدم المساس بها خشية أن يقوم بعض المتطرفين بحرقها أو إتلافها ظنا منهم أنها من الكتب التي تروج للبدع والخرافات كما أمر عثمان وسالم بعدم التعرض للجوامع والمساجد والمدارس ، **أيوب صبري** ، مرآة جزيرة العرب ، ترجمة : أحمد فؤاد متولي ، والصفصافي أحمد المرسي ، دار الرياض للنشر والتوزيع ، ١٤٠٢هـ ، ج١ ، ص١٨٩ .

الأعوان وأبلى بلاءًا عظيما في الحروب مع محمد علي باشا إلى جانب الدولة السعودية[٦٧] .

وفي سنة الاستيلاء على الطائف تمكن الأمير عثمان المضايفي من الاستيلاء على ميناء القنفذة جنوبي مكة وكان تابعا لغالب أمير مكة[٦٨] . وفي السنة نفسها وصل سعود بن عبدالعزيز – يرحمه الله – إلى الطائف وانضم إليه جيش عثمان وساروا إلى عشيرة[٦٩] وعسكر في العقيق ، الوادي المعروف بالقرب من الريعان[٧٠] على بعد ثلاث مراحل من مكة ، إلى أن قضى الحجاج مناسكهم ، فغادر غالب مكة وتركها لأخيه عبدالمعين بن مساعد بعد أن شعر بعدم القدرة على مقابلة هذا الجيش ، وانسحب إلى جدة وترك مكة . فأعلن عبدالمعين استعداده لتسليم مكة على أن يبقى في شرافتها ، فقبل سعود ودخل مكة يوم السبت الثامن من محرم عام ١٢١٨هـ[٧٢] . وأرسل كتابا لأهل جدة مع علي بن عبدالرحمن أخي عثمان المضايفي يطلب منهم الدخول في طاعته . فلما لم يستجيبوا حاصرهم ولكنه ترك حصار جدة عندما وجدها محاطة بالخنادق ومسلحة بالمدافع[٧٣] . ولم يفت هذا في عضد المضايفي بل حاول في نفس العام دخول جدة وحاصرها بعربه الخاصين دون أمر رسمي من الإمام فاستولى على آبار مياهها . ولما رأى تسلح السكان بما فيهم الأجانب تخلى عن ذلك[٧٤] .

وفي السنة نفسها دخلت قبيلة ثقيف المحيطة بالطائف في طاعة عثمان المضايفي أمير الطائف والحجاز[٧٥] . وفي هذا العام[٧٦] وصل حاج اليمن الطائف فحال عثمان بينهم وبين مكة فعاد بعضهم بينما تسلل بعضهم إلى مكة من فجاج بعيدة[٧٧] .

ولما عاد الإمام سعود بن عبدالعزيز للدرعية خرج غالب بن مساعد من جدة ودخل مكة دون

---

(٦٧) خلاصة الكلام ، ص٢٧٣ .

(٦٨) **ابن بشر** ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٢١٧ .

(٦٩) **جوهان لودفيج بوركهارت** ، موّاد لتاريخ الوهابيين ، ترجمة : عبدالله العثيمين ، الرياض ١٤٠٥هـ ، ص٨٨ .

(٧٠) تابعه للطائف في الشمال الشرقي قرية قريبة من السيل الكبير .

(٧١) جبال قريبة من السيل الكبير .

(٧٢) **السباعي** ، ج١ ، ص٤٩٧ .

(٧٣) محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى ، ص ص ٥٤ – ٥٥ .

(٧٤) خلاصة الكلام ، ص٢٧٩ ؛ محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى ، ص٥٥ .

(٧٥) **بوركهارت** ، ص٩٨ .

(٧٦) خلاصة الكلام،ص ٢٨١ .

(٧٧) علق الشيخ حمد الجاسر على الحادثة فقال : قد يكون المضايفي بلغه ما كان منتشرا في ذلك العهد من الأمور المحرمة كالتوسل بالأموات والبدع فأراد استتابتهم فامتنعوا . وليس من المعقول أن يرمي أحدا بالشرك دون بينة أو أن يمنعه من الحج . مجلة العرب ١٣٩٦هـ ، ج١١ ، ١٢ ، ص٨٢٧ .

معارضة من أخيه عبدالمعين المعيّن في إمارة مكة من قبل سعود بن عبدالعزيز[٧٨] ، وقام بغزو الطائف فأحاط بالمضايفي أكثر من شهر ، فأمده الإمام سعود بالجنود عليهم سعد بن قرملة[٧٩] . فلما رأى أمير الغزو هذا الجند ارتحل إلى قرن المنازل ومنها عاد إلى مكة[٨٠].

وفي شهر محرم من العام التاسع عشر ومائتين وألف أقبل سالم بن شكبان أمير بيشة وعثمان باثني عشر ألفا يريدون محاصرة جدة وأخذها . فأخذ في تحصين مكة لأنه علم أن جدة لايمكن أخذها وأعلن النفير العام [٨١] . وبعد ثلاثة أيام رجع عثمان من جدة وأخذ طريقا خلاف طريق الوادي (أي وادي فاطمة) ومعه كثير من قبيلة ثقيف وغيرهم وتمكنوا من أخذ إبل للشريف غالب[٨٢] .

وفي العام التاسع عشر ومائتين وألف في ربيع الآخر ورد الخبر بأن سالم بن شكبان حل بالطائف ومعه خمسمائة من قومه ، واستقبله عثمان المضايفي بمن معه من قومه وخيموا بالقرب من جبال بني سفيان[٨٣] في الطائف وطلبوا منهم الدخول في الطاعة فأجابوا[٨٤] . وفي نفس السنة بنى عثمان المضايفي حصنا بقرية المعدة وأنزل فيه مجموعة من قومه وأمّر عليهم ابن حجي من قبيلة عدوان . وارتحل بعده ابن شكبان أمير بيشة . وقد بايعهم أكثر العربان بأطراف مكة كالمطارفة[٨٥] وقريش وبعض هذيل والجحادلة[٨٦] ولحيان[٨٧] ولهذا جهز غالب بن مساعد غزوا في نفس السنة وجهه لقبيلة لحيان الذين دخلوا في طاعة المضايفي بشعب من وادي الطرفا ، ويسمى شعب الذئب ، فأغار عليهم . كما غزا المناعمة[٨٨] والمطارفة[٨٩] . وفي السنة نفسها علم المضايفي بتوجيه جيش من قبل غالب وفيه من فيه من شباب مكة ومعهم مدفع إلى المدرة ، فقام عثمان وأمد المحاصرين بثلاثة آلاف وخيلهم نحو المائتين . وهناك نشبت معركة بين قوات عثمان وغالب بن مساعد ووقع القتل في الفريقين ، ثم عاد جيش غالب[٩٠] إلى مكة .

وفي هذه السنة أيضا جهز غالب بن مساعد غزوا واشترك فيه كثير من الأشراف والأتراك ونحو مائتين وخمسين فارسا وكثير من الرماة المشاة للإقامة في قرية المدرة لمنع الجانب الآخر من

(٧٨) محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى ، ص٥٦ .

(٧٩) من قبيلة قحطان : **عبدالله بن علي بن مسفر** ، أخبار عسير ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٩٨هـ ، ص٦٢ .

(٨٠) خلاصة الكلام ، ص٢٨١ .

(٨١) نفس المصدر ص ص٢٨٢ – ٢٨٣ .

(٨٣) من قبيلة هذيل بلادهم نخلة الشامية ، معجم قبائل الحجاز ، ج٣ ، ص٤٢٤ .

(٨٦) بين مكة ومر الظهران ، معجم قبائل الحجاز ج٣ ، ١١ ، ص٤٢٨ ، خلاصة الكلام ، ص ٢٨٦ .

(٨٧) لمعرفة أفخاذهم المعاصرة أنظر المنتخب ، ص ٥١١ .

(٨٨) قبائل الطائف ، ص٥٦ . قال : جميعهم بتهامة حاضرتهم تسكن مكة وباديتهم بوادي فاطمة وهم من أبي نمي .

(٨٩) خلاصة الكلام ، ص٢٨٨ .

(٩٠) نفس المصدر ، ص٢٨٨ .

الوصول إليها ولتطمين أهل الوادي ، فاعترى جنود الأتراك مرض وسقام ومكثوا ثلاثة أشهر ورجعوا لمكة ولم يبق بالوادي سوى أربعين . فلما علم المضايفي جمع أربعة آلاف مقاتل ودهمهم بغتة فهزموا جنده ولحقوا بهم حتى الزيما .

وفي الخامس عشر من شوال من العام نفسه وصل الأمير عثمان المضايفي أمير الطائف والحجاز إلى الزيما بجنود كثيرة وانتقلوا إلى عرفة وابن شكبان ، ودخل في الدعوة قريش[٩١] وهذيل . ثم انتقلوا إلى وادي مر[٩٢] في العاشر من ذي القعدة . واستمر حصار العرب لمكة ورفض أمير الحج الشامي أن يخرج مع غالب لقتال السعوديين . وارتبط حبل المودة بين إبراهيم باشا أمير الحج الشامي وبين المضايفي[٩٣] . وفي آخر ذي الحجة كاتب بعض الأشراف عثمان المضايفي ، وانساب من في جند غالب من الأمراء والجنود انسياب السيل وهربوا في جنح الظلام وكذلك بعض شيوخ العبيد الذين كانوا أمناء على القلعة . ولما أشرف على مكاتباتهم سجن ابن أخيه مساعد بن مسعود وأحمد بن سرور وكثيرًا من العسكر والعبيد وقتل بعضا من رؤساء العبيد . ودخل في طاعة السعوديين كثير من الأشراف من ذوي بركات وذوي الحارث والمناعمة[٩٤] ، وقويت عزائم السعوديين واستمر خروج الناس من مكة[٩٥] .

وفي صفر من عام عشرين ومائتين وألف جمع المضايفي نحوا من أربعة آلاف مقاتل وهجم على عساكر الأتراك وبغتهم ، فولت الأعراب هربا من العساكر حتى وصلوا الزيما وخرج خلفهم أمير مكة ولم يستطع اللحاق بهم[٩٦] .

وفي جمادى الأولى من السنة المذكورة ركب الشريف غالب ومعه الأتراك والعساكر إلى الطائف ، وأرسل العربان عن طريق الجبل كرا برئاسة أحمد بن مثقال فحاصروا المضايفي ، وأقام عشرة أيام . ولما لم يستطع دخول الطائف رجع إلى مكة[٩٧] . ثم دعا الإمام سعود بن عبدالعزيز في شهر جمادى الأولى لقاءا حضره الأمراء منهم عبدالوهاب أبونقطة أمير عسير ، وسالم بن شكبان أمير بيشة ، وعثمان المضايفي أمير الطائف والحجاز وغير هؤلاء من الأمراء ، وأمرهم بمحاصرة غالب بن مساعد في مكة . وقد عاد المضايفي في العشرين من جمادي الآخرة فاستقبله خواصه في

(٩١) هم بقية قريش المشهورة يقيمون في مكة وضواحيها وفي الطائف . وأكبر بلدانهم الحوية . لمعرفة أفخاذهم انظر : المنتخب ، ص٥٠٣ .

(٩٢) من بطن مر إلى مكة ثلاثة عشر ميلا وبها بركة للسيل ، **إبراهيم أبو إسحاق الحربي** ، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق : حمد الجاسر ، الرياض منشورات دار اليمامة ، ١٣٨٩هـ ، ٤٦٥ .

(٩٣) خلاصة الكلام ، ص٢٨٥ .

(٩٤) وهؤلاء كلهم من ذرية أبي نمي ، قبائل الطائف ، ص ص٤٠ ، ٤٥ ، ٥٣ ، ٥٦ .

(٩٥) خلاصة الكلام ، ص٢٨٦ .

(٩٦) مجلة العرب ١٣٩٦هـ ، ج١١ ، ١٢ ، ص٨٤٢ .

(٩٧) نفس المصدر ١٣٩٦هـ ، ج١١ ، ١٢ ، ص٨٤٢ .

الطائف[٩٨] .

وفي الثامن عشر من شعبان من العام نفسه أغار المضايفي على جدة ، وقسم جنده ووزعهم على ثلاث جهات والتقوا عند سور البلد ومعهم السلالم ومعاول الحديد ونقبوا السور وردتهم المدافع . وكان مخيمه في موضع ناء عن الرصاص ، ثم عاد إلى قرية المدرة وجعل يراسل العربان فانثالوا عليه ويقوم بإرسالهم إلى جدة لمحاصرتها . وأبقى لمحاصرة جدة وهس شيخ قبيلة زبيد[٩٩] فخيموا هناك يردون آبار غليل[١٠٠] يغيرون على البلد ويقطعون الورد والصدر ، وامتنع الوصول إلى مكة وسد الطريق . وأمر الجحادلة وبعض هذيل أن يخيموا على الشرفية[١٠٢] وقطعوا كل ما يرد عن طريق اليمن[١٠٣] . وقطع طريق الجهة الشرقية وأمر بالمخيم على وادي نعمان فتم له منع الأقوات من الثلاث جهات .

وفي الثالث من رمضان أرسل عثمان جماعة من قومه فنهبوا إبل الشريف في العقيشية[١٠٤] فحاول الشريف إرجاعها بالخيل فلم يتمكن[١٠٥] . وفي الخامس من رمضان من السنة المذكورة أمر عثمان أربعين من قبيلة هذيل الندوية[١٠٦] ليمكثوا بين مكة والحسينية فجلسوا عند الشرفة التي عند جبل ثور يقطعون من يمر عليهم[١٠٧] . وفي العاشر من شوال من تلك السنة رحل عثمان المضايفي من طريق جدة وقصد الحسينية فجهز الشريف غالب جماعة من الخيل والمشاة فالتقوا بالمضايفي عند بطحاء قريش بأسفل مكة فوقع القتال بينهم وقتل الشريف فواز الحسيني أمير المدينة ، ثم رجع عثمان إلى الحسينية وحارب فيها مدة يومين فملكها وهي موقع حصين . ويقال إن وكيل الشريف سهل لهم ذلك فانثالت عليهم العربان من كل سهل وجبل ، وأرسل عثمان يبشر سعودا بذلك . ثم وصل إلى الحسينية ابن شكبان بما يزيد على خمسة آلاف من بيشة وشمران وغامد وزهران[١٠٨] وقحطان[١٠٩] .

(٩٨) خلاصة الكلام ، ٢٨٩ .

(٩٩) من قبيلة حرب مسروح يسكنون الساحل من جنوب جدة إلى ينبع ، **حمد الجاسر** ، معجم قبائل المملكة العربية السعودية ، الرياض ، النادي الأدبي ، ١٤٠١هـ ، ص٣٠٥ .

(١٠٠) حي في جدة الآن .

(١٠١) من زبيد في الدعيجية وساحل ثول بين رابغ وجدة ، معجم قبائل المملكة العربية السعودية ، ج١ ، ص٨٨ .

(١٠٢) من أحياء جدة .

(١٠٣) مجلة العرب ١٤٩٦هـ ، ج١١ ، ١٢ ، ص٨٤٢ .

(١٠٤) موضع بالحرم .

(١٠٥) خلاصة الكلام ، ص٢٨٩ .

(١٠٦)يسكنون وادي ضيم : معجم قبائل الحجاز ، ج٣ ، ص٤٩٢ .

(١٠٧) مجلة العرب ١٣٩٦هـ ، ج١١ ، ١٢ ، ص٢٥٨ .

(١٠٨) كلهم من قبائل الأزد ، المنتخب ، ص ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٧٠ .

(١٠٩) أنظر المنتخب ، ص٤٩٧ .

كما وصل عبدالوهاب أبونقطة بنحو عشرة آلاف من عسير وعربان اليمن فأصبح عددهم مع جند عثمان بالحسينية ثلاثين ألفا فاشتد الكرب والضيق على مكة والشريف غالب .

وفي العشرين من ذي القعدة وصل من الحسينية عبدالرحمن بن نامي ت ١٢٣٤هـ[١١٠] أحد العلماء في نجد فاجتمع بغالب وتم الصلح على أن يأذن الشريف للسعوديين بالحج والدخول في الطاعة . ودخل عثمان المضايفي وسالم بن شكبان مكة لأربع بقين من شهر ذي القعدة وخيموا بالأبطح ، وفي اليوم الثامن توجهوا إلى عرفة[١١١] . وفيها ، أي في السنة العشرين بعد المائتين والألف ، انتقض الصلح بين غالب وسعود بن عبدالعزيز فسدت الطرق كلها إلى مكة جهة اليمن وتهامة والحجاز ونجد لأنهم كلهم رعية الإمام سعود . وأمر الإمام على عبدالوهاب أبونقطة ومن تبعه من تهامة وسالم بن شكبان ورعاياه من بيشة ونواحيها وعثمان المضايفي بجميع أهل الحجاز بالمسير إلى مكة فينزلون حولها ويضيقون على غالب . فطلب[١١٢] غالب الصلح ومواجهة الإمام سعود ومبايعته فصالحوه وأمهلوه . ودخل مكة عبدالوهاب وعثمان ومن معهم من الأمراء والأتباع ثم انصرفوا إلى أوطانهم[١١٣] .

وبدا أن غالبا كثير التبدل والتلون وعدم الثبات على الصلح وما جرى عليه الاتفاق لذا قرر الإمام سعود في فصل الخريف أن يشدد حملته على غالب فأصدر الأوامر لعبدالوهاب وابن شكبان بأن يعدوا حملة هائلة جدا على مكة وضواحيها والبقاء هناك حتى مجيء قائد الحج الشامي من الشام فيمنعونه من الدخول إن كان قدم بالأسلحة . ولما رأى غالب هذه القوة طلب الصلح وأنه مستعد بعد الحج للتوجه للدرعية ليقدم الولاء ووافقه القادة السعوديون وحج عثمان وعبدالوهاب[١١٤] .

وفي عام واحد وعشرين ومائتين وألف في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة وقع بمكة قتال بين الأتراك والعبيد والشريف وكان الفائت فيه نحو من عشرين بين قتيل وجريح . ودام القتال أربعة أيام فجاء الشريف غالب وانتقم من مدبريها بالقتل والحبس والتسفير . وقد اتخذ منها المضايفي مناسبة للقدح في غالب وعدم كفايته لضبط مكة ، فركب من الطائف للدرعية ليخبر سعودا بالقضية . فكان توجهه في رجب ورجع بعد خمسة وثلاثين يوما . ولما رجع أمر العربان بقطع الطرق مشاقة لغالب لأن سعودا أعطاه إمارة العربان ، فغلت الأسعار بمكة فأرسل له سعود ومنعه وزالت الشدة بعد ثمانية أيام[١١٥] . وفي نفس العام وصل الشريف عبدالله بن سرور من اسطنبول وطلب من

(١١٠) علماء نجد خلال ستة قرون ، ج٢ ، ص٤٣٢ .

(١١١) خلاصة الكلام ، ص ص ٢٩٠ - ٢٩٢ ؛ أخبار عسير ،ص٥١ .

(١١٢) ابن بشر ، ج١ ، ص١٨٣ .

(١١٣) نفس المصدر ، ج١ ، ص١٨٣ .

(١١٤) **سانت جون فلبي** ، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ترجمة عمر الديراوي ، بيروت : المكتبة الأهلية ، د.ت ، ص١١٣ .

(١١٥) خلاصة الكلام ، ص ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

الدرعية إمارة مكة فلم يقبل سعود . ولما وصل مقبلا إلى مكة وصل لأبي الدود[١١٦] أرسل لعمه يستأذنه في الدخول فلم يأذن له . فلما سمع المضايفي أنه طلب من الدرعية إمارة الطائف وتكلم فيه عند سعود أرسل جماعة من عدوان وقبضوه وسجنه قريبا من ستة أشهر ثم أطلقه[١١٧] .

وفي يوم الجمعة الثاني عشرة من شوال عزم الإمام سعود على الحج للمرة الثالثة . وسير أمامه قبل خروجه عبدالوهاب بن عامر أبونقطة ورعاياه من عسير وألمع وغيرهم ، وفهاد بن سالم بن شكبان بأهل بيشة ونواحيهما ، وعثمان المضايفي بأهل الطائف ونواحيه ، وواعدهم المدينة المنورة . وذكر لهم منع حواج الشام واسطنبول ونواحيهما، وذلك لأن سعودا خاف من غالب شريف مكة أن يحدث منه أو عليه حوادث بسبب دخول الحواج الشامية وأتباعهم . ثم رحل هؤلاء الأمراء من المدينة وقصدوا مكة فاجتمعوا فيها بسعود وحجوا واعتمروا في أحسن حال وبايعه الشريف[١١٨] . وقد ذكر فلبي أن هذا الحشد كان بسبب مسلك غالب المبهم وخوفا من أن يقرر الباب العالي إرسال جيش من الأتراك لحماية قافلة الحج السورية . وكانت الخطة التي وضعها سعود تقضي بحشد جيش كبير في المدينة يتكون من غزو عسير وبيشة ورنية ، ويقابلهم عثمان المضايفي مع سكان الجبال من منطقة الطائف بالإضافة إلى عناصر أخرى من الحجاز ، يضاف إليهم قوة القصيم تحت أمرة حجيلان بن حمد[١١٩] ، وقوات شمر[١٢٠] بقيادة الأمير محمد بن عبدالمحسن بن علي ، وجنود الوشم . وانضم إليهم في الطريق جيش كبير من قبيلة حرب بقيادة مسعود بن مضيان وجابر بن جبارة[١٢١] .

وفي جمادي الثانية من السنة الرابعة والعشرين بعد المائتين والألف حدث من حمود بن محمد أبومسمار صاحب أبي عريش[١٢٢] – وهو من نسل أحمد بن أبي نمي – عدواة لعبدالوهاب أبونقطة أمير عسير ، ولم يحصل بين ابنه وعبدالوهاب أمام الإمام سعود اتفاق . وكتب له سعود بمحاربة أهل صنعاء فلم يفعل فأمر الإمام سعود أهل النواحي الحجازية واليمنية ومن يليهم بالمسير لقتاله . وبعث من الدرعية فرسانا انتقاهم وسار علي بن عبدالرحمن المضايفي أخو عثمان من الطائف وقراه ومن بوادي الحجاز . والتقى الجمعان بوادي بيش[١٢٣] فقتل عبدالوهاب ، ثم كرت الجموع على حمود فهزموه وتراجع في هزيمة إلى حصنه فاستولى الجيش على الحصن صلحا . واستعمل سعود على تهامة

---

(١١٦) في غربي مكة ويسمى الآن أبو الجود .

(١١٧) خلاصة الكلام ، ص٢٩٣ .

(١١٨) نفس المصدر ، ص١٨٧ .

(١١٩) من آل عليان من تميم ، المنتخب ، ص٣٦٦ .

(١٢٠) من قبيلة طيء ، المنتخب ، ص٢٤٣ .

(١٢١) تاريخ نجد لفلبي ، ص ص ١١٧ ، ١١٨ .

(١٢٢) مدينة في منطقة جازان : **محمد بن أحمد العقيلي** ، المعجم الجغرافي ، مقاطعة جازان ، ١٣٩٩هـ ، ص٥٨ .

(١٢٣) من أعظم أودية تهامة ، المعجم الجغرافي ، مقاطعة جازان ، ص٨٠ .

والسراة طامي بن شعيب ، ابن عم عبدالوهاب[١٢٤] .

في شهر ربيع الأول[١٢٥] في العام الخامس والعشرين ومائتين وألف وصلت الأخبار بأن أمير حجاز مكة جميعة عثمان المضايفي خرج من بلده يريد اليمن . وجمع من الجنود ما يقارب خمسة آلاف وانضم إليه في الشقيق[١٢٦] طامي بن شعيب أمير عسير ومعه ثلاثة آلاف وألفان من قبيلة شهران[١٢٧] وغيرهم نحو الألف . وتوجه لليمن وكان طريقهم غربي أبي عريش بنحو فرسخين . وهمَّ الشريف حمود أبومسمار باعتراضهم ويحول بينهم وبين اليمن فلم يبلغه خبر مضيهم[١٢٨] إلا وقد نفذوا . وبقي ينتظر عودتهم . وانتهوا إلى مور[١٢٩] ثم إلى مورد الماء الذي يرده أهل اللحية المسمى العيسية نسبة إلى رجل يسمى عيسى من أهل الجامعي . وأخذوا ما وجدوا هناك من الأنعام وقتلوا رجالا يعملون في عمارة حصن بأمر حمود ، ثم عادوا ولم يتهيأ لهم دخول اللحية ، بينما يقول الفاخري إنهم دخلوا اللحية والحديدة في نفس العام ، وربما يكون ذلك في غزوة أخرى[١٣٠] . ولما رجعوا من اليمن خرج أبومسمار بنفسه ومعه الأجناد من بكيل[١٣١] وأبي ريش حتى وصل إلى غربي الوحلة ضاربا إلى جهة اليمن في موقع يسمى بربر جنوب قرية المضايا[١٣٢] بنحو كيل . ثم التفت إلى القوم فرأى سيلا جرارا وبحرا أمواجه العتاق الضمر فانبهر جند الشريف ، وصدم أبومسمار ذلك الجيش فانكسر خيله وولوا على أدبارهم وقتل منهم عالم كثير . وتعقبهم أهل الشام وأذاقوهم كأس الحمام ، وقتل[١٣٣] سعود المضايفي ابن عم عثمان وهو أكبر رؤساء جيش عثمان ، منزلته كمنزلة طامي عند عبدالوهاب أبونقطة .

---

(١٢٤) ابن بشر ، مرجع سابق ، ج١ ، ٥ ، ص١٩ .

(١٢٥) في أخبار عسير أن ذلك في ربيع الثاني ، ص‌ص ٦٦ – ٦٧ .

(١٢٦) ميناء في تهامة على البحر الأحمر ، المعجم الجغرافي ، مقاطعة جازان ، ص٢٣١ .

(١٢٧) قاعدتهم خميس مشيط في منطقة عسير ، المنتخب ، ص١٨٦ .

(١٢٨) وادي مور هو ميزاب تهامة الأعظم ، **الحسن بن أحمد الهمداني** ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد بن علي الأكوع ، منشورات دار اليمامة ، ١٣٩٤هـ ، ص١٢٣ .

(١٢٩) ميناء على البحر الأحمر في اليمن .

(١٣٠) **محمد بن عمر الفاخري** ، الأخبار النجدية ، تحقيق : عبدالله الشبل ، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، د.ت ، ص١٣٨ .

(١٣١) من أكبر قبائل اليمن من قبيلة همدان ، المنتخب ، ص٢٣٨ .

(١٣٢) المضايا قاعدة بلاد الحكامية ، المعجم الجغرافي لجازان ، ص٣٩١ .

(١٣٣) نفح العود ، ص‌ص ٢٦٦ – ٢٦٩ ، ابن بشر ، ج١ ، ص١٩٢ .

وفي العام السادس والعشرين بعد المائتين وألف في التاسع[١٣٤] من رمضان ارتحل الجيش المصري من الحصوة ونزلوا بركة الحج . وفي الثالث عشر[١٣٥] من ذي القعدة وقع القتال بين الفريقين وفي الخامس عشر[١٣٦] من ذي الحجة وصل الهجانة للإخبار بوصول الجيش المصري إلى ينبع وقام الابن الثاني لمحمد على طوسون وهو في السادسة عشر من عمره ، وقاد حملة قوامها ثمانية آلاف من المشاة وصلوا عن طريق البحر وألفين من الفرسان عن طريق البر . ولما انحاز لهم غالب بن مساعد أشار عليهم بالتوجه للمدينة فاحتل بدرا وتابع المسير للصفراء فالتقى بالقوة السعودية بإمرة عبدالله بن سعود ، ابن إمام الدرعية ومعه خمسة عشر ألفا وكل من أمير عسير طامي بن شعيب وعثمان المضايفي أمير الطائف وهزم طوسون[١٣٧] .

وفي العام السابع والعشرين والمائتين وألف خرج أمير الطائف والحجاز ونزل وادي الحمى وهو مكان في ديار قبيلة بني كبير من غامد[١٣٨] ووقعت فيه معركة مع أبناء غامد وزهران . إلا أنه قال إن ذلك في عام ١٢٣٨هـ ويبدو أن المعركة حدثت في العام الثامن عشر بعد المائتين والألف لأن المضايفي قد أسر في عام ١٢٢٨هـ[١٣٩] .

وفي العام الثامن والعشرين ومائتين وألف من الهجرة استوحش عثمان المضايفي بعد أن وقع من غالب بن مساعد أمير مكة ما أوحش عبدالله بن سعود يرحمه الله ، فتراجع عبدالله للريعان بقرب السيل الكبير ثم العبيلاء . وأمر عثمان المضايفي أن يضبط الطائف ، وتوجه للخرمة[١٤٠] . فلما دخل طوسون مكة بعد أن دعاهم غالب بن مساعد ومالأهم على ذلك[١٤١] ، خاف المضايفي على نفسه وحرمه فخرج بعياله ونسائه وبعض خيله وما خف من أمواله ومتاعه ولحق بعبدالله بن سعود ، وكان ذلك يوم الثلاثاء لسبع بقين من محرم من العام الثامن والعشرين بعد المائتين والألف[١٤٢] . وبذلك أصبح الطريق ممهدا للترك لاحتلال الطائف . لذا سار مصطفى بك رئيس فرسان محمد علي وصهره

---

(١٣٤) تاريخ ذكر بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص١٣٥ ؛ محمد أديب غالب ، من أخبار الحجاز ونجد ، ص١٢٧ .

(١٣٥) خلاصة الكلام ، ص٢٩٥ .

(١٣٦) **محمد أديب غالب** ، من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي ، ١٣٩٥هـ ، ص١٣٠ .

(١٣٧) **محمود شاكر** ، شبه جزيرة العرب (الحجاز) المكتب الإسلامي دمشق ، ١٣٩٧هـ ، ص١٤٤ .

(١٣٨) المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران ، ص٥ .

(١٣٩) **ابن بشر** ج١ ، ص ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

(١٤٠) خلاصة الكلام ص٢١٤ .

(١٤١) **ابن بشر** ، ج١ ، ص٢٠٠ .

(١٤٢) خلاصة الكلام ، ص٢١٤ .

وابن غالب إلى الطائف ودخلوه في ذلك العام[١٤٣] .

القبض على المضايفي وقتله

أعد غالب بن مساعد جائزة قيمتها خمسة آلاف دولار لمن يقبض على الأمير المضايفي لأنه يعتقد أن كل متاعبه مع السعوديين كانت بسببه . ولما خرج عثمان من الطائف لم يقف موقفا سلبيا من هذه القوات التي أبعدته من بلده وإمارته لذا كان يتجول مع فرسانه خفيفي الحركة في المنطقة من جهة إلى أخرى ، وغالبا ما قطع المواصلات مع مكة . وكان يضايق حامية الطائف بشكل كبير[١٤٥] . ويبدو أنه كان يختبر قوة دفاع الترك وفي نيته استعادة الطائف ، لذا جمع طائفة من قبيلة عدوان وغيرهم من أهل الحجاز وملك بهم قصرين أو ثلاثة من أعمال بسل[١٤٦] وفيه قلعة حصينة سبق أن بناها عثمان[١٤٧] .

ولما علم غالب بن مساعد نزوله في بسل سار إليه بعساكر كثيرة من الترك وغيرهم وحصره في ذلك الحصن ، وحاصر القصور التي حوله . وأقام على ذلك أياما[١٤٨] . ولما أشعلوا النار في الحصن أندفع عثمان المضايفي مع ثلاثين رجلا مرتدين ثيابا تشبه ثياب الطبقة الدنيا من البدو إلى أفراد العدو فشقوا طريقهم بينهم ، لكن فرسه أصيبت ولم تقدر على حمله بعيدا فسار على قدميه[١٤٩] ونجا . فلما وصل مكانا يسمى الحزم ظفر به أناس من قبيلة عتيبة يقال لهم العصمة ، وساروا إلى غالب فأمسكه أسيرا . وقتل من قرابة عثمان وأتباعه نحوا من خمسين رجلا . وكان إمساكه (يرحمه الله) لعشر مضين من رمضان في العام الثامن والعشرين ومائتين وألف . وسجن بقلعة الطائف ثم جعل في رقبته جنزير وأحضر إلى جدة .

ولابد أن أمير مكة قد ارتاح بالقضاء على خصمه اللدود إلى جانب الاعتقاد أن ذلك سوف يعزز مكانة غالب لدى الأتراك ومحمد علي باشا . وجاءت البشائر إلى محمد علي باشا بالقبض عليه في

---

(١٤٣) **ابن بشر** ، ج١ ، ص٢١٥ .

(١٤٤) بوركهارت ، ص‌ص ١٢٧ – ١٢٨ .

(١٤٥) نفس المصدر ، ص١٢٧ ..

(١٤٦) **ابن بشر** ، ج١ ، ص٢١٧ ، وبسل واد كبير يقع شرقي الطائف يبعد عن الطائف ٨٠ كيلو ، به مزارع وبساتين . وسكانه اليوم هم قبيلة العصمة . وقد حصل في بسل معركة فاصلة بين فيصل بن سعود ومحمد علي باشا .

(١٤٧) **بوركهارت** ، ص١٢٨ .

(١٤٨) **ابن بشر** ، ج١ ، ص٢١٧ .

(١٤٩) **بوركهارت** ، ص١٢٨ .

شهر شوال وبعثوه إلى مصر قبل وصول محمد علي إلى جدة فلم يلتق به ، إذ توجه محمد علي في الرابع عشر من شوال ووصل إلى جدة في آخر شوال بينما وصل المضايفي إلى مصر منتصف شهر ذي القعدة(١٥٠) . وفي جدة جاء لمحمد علي رسل الإمام سعود بن عبدالعزيز – يرحمه الله – يطلبون الإفراج عن عثمان المضايفي ويفتديه الإمام سعود بمائة ألف ريال فرنسي ، فرد على الوفد أن المضايفي قد توجه إلى السلطنة(١٥١) . وهذا يدل على وفاء وتقدير من القيادة السعودية لهذا القائد الذي عمل في خدمة دولة التوحيد بكل جد وإخلاص وشجاعة . ولما طلعت الشمس ضربوا المدافع من القلعة في مصر إعلاما وسرورا بوصوله وأسره . وركب صالح بك السلحدار في عدة كبيرة وخرجوا لملاقاته ونزع الحديد عنه . وأركبه هجينا ودخل به المدينة وطلعوا به القلعة . وأدخل مجلس كتخدا وصحبته حسن باشا وطلعت باشا وباقي أعيانهم ونجيب أفندي ، وكان متأخرا عن السفر ينتظر قدوم عثمان ليأخذه صحبته إلى دار السلطنة .

فلما دخل عليهم أجلسوه معهم فحدثوه ساعة وهو يجيبهم من جنس كلامهم بأحسن خطاب وأفصح جواب ، وفيه سكون وتؤدة في الخطاب وظاهر عليه علامات الامارة والحشمة والنجابة ومعرفة مواقع الكلام حتى قال بعضهم لبعض يا أسفا على مثل هذا إذا ذهب إلى اسطنبول يقتلونه . ولم يزل يتحدث معهم حصة ، ثم حضر الطعام فواكلهم . ثم أخذه كتخدا إلى منزله فأقام عنده ثلاثا حتى تمم نجيب أفندي أشغاله فأركبوه وتوجهوا به إلى بولاق وأنزلوه في السفينة وانحدروا طالبين الديار الرومية وذلك في يوم الاثنين من شهر ذي القعدة(١٥٢) . وهناك قدم أصغر أبناء محمد علي هذا الأسير النبيل إلى مولاه مع مفاتيح المدينتين المقدستين . وقد قتل المضايفي فور وصوله إلى هناك (رحمه الله) ففقد السعوديون بقتله أنشط وأجرأ موالٍ لهم في الحجاز(١٥٣) .

قلاع وحصون

كان للدولة السعودية الأولى اهتمام ببناء القلاع وتشييدها داخل البلدان وخارجها تشحن بالجنود والأسلحة والذخائر والمؤن الغذائية ، وهدفها عسكري وأمني . وقد تشيد من أجل التضييق على البلدان المحاصرة فيمنع عنها الوارد والصادر فتسرع إلى طلب الصلح والدخول في الطاعة . وتنسب للأمير عثمان المضايفي أمير الطائف والحجاز قلعة عالية أقامها في باب الريع في غرب المدينة القديمة على

---

(١٥٠) خلاصة الكلام ، ص٢٩٦ .

(١٥١) نفس المصدر ، ص٢٩٧ .

(١٥٢) من أخبار الحجاز ونجد ، ص١٤٩ .

(١٥٣) **بوركهارت** ، ص١٢٧ .

تل رفيع وقد هدمت في عام ١٣٨٩هـ ، وكانت قلعة كبيرة محصنة قوية البنيان من الحجر ، وكانت مقرا للبوليس الحربي في الطائف في هذ الدولة . وقد بنيت في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود(١٥٤) . كما شيد حصن بسل المشهور(١٥٥) وحصونا في بلاد عدوان وفي مكة المكرمة والشرائع والزيمة ، وله حصون قوية خاصة به .

ومن أهم أملاكه حصنه الشامخ القوي بقرية العقرب وهو مكون من ثلاث طبقات واسع الأرجاء زاره الباحث في شهر شعبان عام ١٤١٤هـ فوجده قويا عاليا بني من حجارة محلية سوداء على ارداف جبل مشرف على القرية ، وقد حاصره فيه غالب بن مساعد ولم يتمكن(١٥٦) من اقتحامه . وكان الطابق الأول مستودعا للدروع والسيوف والرماح والأسلحة المستعملة في ذلك الوقت .

ومن الآثار التي خلفها في قريته العقرب مسجده الذي كان يدرس فيه القرآن الكريم ، وتلقى فيه المواعظ وتقام فيه صلاة الجمعة وتلقى فيه بعض الدروس في التفسير والحديث . وكان يحضر إليه بعض علماء الدرعية وأئمتهم . وممن صلى في المسجد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود والإمام سعود بن عبدالعزيز ، والإمام عبدالله بن سعود (يرحمهم الله) عندما كانوا يأتون إلى الحجاز .

ولعثمان قصر يسمى (مروان) الواقع بوادي العبل والعبيلاء ، يرى على بعد من هذه القرية . ولم يبق منه إلا الشيء القليل وقد هدمته القوات التركية بمدفع أحضروه لهذه الغاية . وتحتاج كلها إلى عناية وترميم(١٥٧) .

أقوال المؤرخين في عثمان المضايفي

١ – قال جوهان لودفيج بوركهارت (١٢٣٦هـ) : كان أنشط وأجرأ موالٍ للسعوديين في الحجاز (١٥٨) .

٢ – قال عبد الرحمن الجبرتي (ت ١٢٤٠هـ) : كان أعظم أعوان السعوديين ، وهو الذي كان يحارب لهم ويقاتل ويجمع قبائل العربان ويدعوهم عدة سنين ، ويوجه السرايا على المخالفين . ونما أمره واشتهر لذلك ذكره في الأقطار(١٥٩) .

---

(١٥٤) الأزهار النادية ، ج١٥ ، ص٨٤ .

(١٥٥) **بوركهارت** ، ص١٢٧ .

(١٥٦) انظر ص٨٩ .

(١٥٧) كتب للباحث بذلك حفيد الأمير عثمان ، وهو القاضي الشيخ سعد بن علي بن عبدالله بن عثمان المضايفي .

(١٥٨) **بوركهارت** ، ص١٢٩ .

(١٥٩) من أخبار الحجاز ونجد ، ص١٤٨ .

٣ – قال عبدالرحمن بن أحمد البهكلي (ت ١٢٤٨هـ) : إن عثمان المضايفي هو أحد الأمراء الكبار مع سعود ، ربما قاد المائتين من الألوف في بعض المواقع[١٦٠] .

٤ – قال إبراهيم بن أحمد الحسيل : عثمان بن عبدالرحمن المضايفي هو أحد القادة المشهورين بالولاء لآل سعود في الدور الأول[١٦١] .

٥ – قال محمد بن منصور بن هاشم آل عبدالله بن سرور : عثمان بن عبدالرحمن العدواني المشهور بالمضايفي أحد قادة الإمام سعود بن عبدالعزيز وواحد من ذوي الرأي فيهم . تولى إمارة الطائف في عهد سعود وعبدالله وظل مخلصا حتى قبض عليه محمد علي[١٦٢] .

والله ولي التوفيق

المـــراجع

البسام ، عبدالله بن عبدالرحمن ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ١٣٩٨هـ . .

ابن بشر ، عثمان بن عبدالله ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، تحقيق : عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ على نفقة وزارة المعارف الرياض ١٣٩٤هـ .

البلادي ، عاتق بن غيث ، معجم قبائل الحجاز ، مكة ، دار مكة للنشر والتوزيع ، ١٣٩٩هـ .

بوركهارت ، جوهان لودفيج ، مواد لتاريخ الوهابيين ، ترجمة : عبدالله الصالح العثيمين ، الرياض ، طبع شركة العبيكان للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ .

الجاسر ، حمد ، في سراة غامد وزهران ، الرياض ، منشورات دار اليمامة ، ١٣٩١هـ .

الحربي ، إبراهيم أبو إسحاق ، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق : حمد الجاسر ، الرياض ، منشورات دار اليمامة ، ١٣٨٩هـ .

الحسيل ، إبراهيم أحمد ، غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان ، دار العلم للطباعة والنشر ، د.ت .

ابن خلدون ، عبدالرحمن ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، د.ت .

ابن خميس ، عبدالله بن محمد ، المجاز بين اليمامة والحجاز ، جدة ، تهامة للنشر ، ١٤٠٢هـ .

دحلان ، أحمد زيني ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٧٨هـ .

---

(١٦٠) نفح العود ، ص٢٥٠ .

(١٦١) **إبراهيم الحسيل** ، غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان ، دارالعلم للطباعة والنشر ، د.ت ، ص٤٩ .

(١٦٢) قبائل الطائف ، ص ص ٦٥ ، ٦٦ .

الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، ما رأيت وما سمعت ، تعليق : عبدالرزاق كمال ، الطائف ، مكتبة المعارف ، ١٣٩٨هـ .
الزهراني ، علي بن صالح السلوك ، المعجم الجغرافي لغامد وزهران ، الرياض ، منشورات دار اليمامة ، ١٣٩١هـ .
السباعي ، أحمد ، تاريخ مكة ، مكة ، نادي مكة الثقافي ، ١٣٩٩هـ .
شاكر ، محمود ، شبه جزيرة العرب (الحجاز) ، دمشق ، المكتب الإسلامي ١٣٩٧هـ .
صبري ، أيوب باشا ، مرآة جزيرة العرب ، ترجمة : أحمد فؤاد متولي والصفصافي أحمد المرسي ، الرياض ، للنشر والتوزيع ، ١٤٠٢هـ .
صقر ، نادية حسني ، الطائف في العصر الجاهلي ، جدة ، دار الشروق ، ١٤٠١هـ .
عبدالرحيم ، عبدالرحمن عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ، القاهرة ، دار نافع للطباعة ١٣٩٧هـ .
العثيمين ، عبدالله الصالح ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٤هـ .
العقيلي ، محمد بن أحمد ، المعجم الجغرافي ، مقاطعة جازان ، الرياض ، منشورات دار اليمامة ، ١٣٩٩هـ .
أبو علية ، عبدالفتاح حسن ، المخطوط التركي ، الرياض ، دار المريخ ، د.ت .
ابن عيسى ، إبراهيم بن صالح ، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، تحقيق : حمد الجاسر ، الرياض ، منشورات دار اليمامة ، د.ت .
غالب ، محمد أديب ، من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي ، الرياض ، منشورات دار اليمامة ، ١٣٩٥هـ .
الفاخري ، محمد بن عمر ، الأخبار النجدية ، تحقيق : عبدالله الشبل ، الرياض ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، د.ت .
فردريك ج بيك ، تاريخ شرق الأردن وقبائلها ، ترجمة : بهاءالدين طوقان ، عمان : الدار العربية للنشر ١٣٥٣هـ .
فلبي ، سانت جون ، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ترجمة عمر الديراوي ، بيروت : المكتبة الأهلية ، د.ت .
القلقشندي ، أبو العباس أحمد ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، بيروت : دار الكتاب ، ١٤٠٠هـ .
ابن كثير ، أبو الفداء الحافظ ، البداية والنهاية ، بيروت ، مكتبة دار المعارف ، الرياض : مكتبة النصر ، ١٣٨٦هـ .
كحالة ، عمر رضا ، معجم قبائل العرب ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٨٨هـ .
كمال ، محمد سعيد ، الأزهار النادية من أشعار البادية ، الطائف ، مكتبة المعارف ، ١٣٩١هـ .
مجلة العرب ، ج ١١ ، ١٢ ، ١٣٩٦هـ (نشر فيها مختصر تاريخ مكة وشرفاؤها ، عبدالله بن محمد بن عبدالشكور) الرياض .
ابن مسفر ، عبدالله بن علي ، أخبار عسير ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٩٨هـ .
المغيري ، عبدالرحمن بن حمد ، المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب ، تحقيق : إبراهيم محمد الزيد، الطائف ، د.ت .
ابن منصور الشريف ، محمد ، قبائل الطائف وأشراف الحجاز الطائف : دار الحارثي للطباعة والنشر ، ١٤٠١هـ .
النادي الأدبي ، معجم قبائل المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤٠١هـ .
الهمداني ، الحسن بن أحمد ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد بن علي الأكوع ، الرياض ، منشورات دار اليمامة ، ١٣٩٤هـ .

Uthman Bin Abdul-Rahman Al-Muḍayifi, Governor of Taif and Hijaz under the First Saudi Dynasty

IBRAHIM M. AL-ZAID
Associate Professor, Department of History,
Faculty of Arts and Humanities,
King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia

ABSTRACT. This research is concentrating on introducing who was one of the most distinguished men during the 13th century of Al-Hijaz in the Western region of the Arabian Peninsula. It happened that Al-Muḍayifi married the Sharif Ghalib's sister and became his close bosom friend, so he appointed him as his closest assistant and a leader for a regiment to resist the followers of the Saudis. When the tribes – under the Sharif increased in joining the Saudi dynasty – Ghalib felt that this is due to the Saudis revocation of their treaty with him. So Ghalib decided to send messengers headed by Al-Muḍayifi to Diriyyah to persuade the Saudis to adhere to the peace treaty.

At Al-Dirriyah something unexpected happened: instead of persuading the Saudi leaders to abide by the treaty, he joined them.

Al-Muḍayifi then, was appointed by the Saudis as a governor of Taif and surrounding areas of Al-Hijaz, Ibn Saud provided him with letters of notification of his appointment to the leaders of the tribes, which was considered a hard blow for Al-Sharif Ghalib because Al-Muḍayifi was familiar with his weaknesses.

Al-Muḍayifi was able to capture Taif and the surrounding areas. Not only he did that but he also fought those who resisted him until all Taif are – as submitted to him under the command of the Saudi dynasty – then he exerted his efforts to harass the governor of Makkah helped by Abdul Wahhab Abu Nogta, the Emir of Asir and by Salim bin Shakban, the Emir of Bisha and some others.

This way he compelled Ghalib to request for peace-treaty and surrender to the Saudis.

As Al-Muḍayifi was the leader of the tribe of Adwan, its past history was mentioned in through this research in brief and in order to connect past and

present of tribe of Adwan this study the research referred too, to the present clans of the tribe and their inhabited areas throughout their history as well as its time of weakness and scatter.

The whole events pushed Ghalib to invite Mohammad Ali Pasha, the ruler of Egypt who sent his troops to invade the Arabian peninsula and to conquer the Saudi dynasty to enter Makkah.

The presence of Mohammad Ali forces forced the Saudis to retreat from Taif area.

Al-Mudayifi fled away from Taif, afraid of being exterminated by the invaders, but that was not the end of it.

He continued his resistance of the invaders in the neighbouring districts of Taif, until he was finally arrested by the invading forces and sent to Egypt then to Istanbul where he was beheaded closing an interesting chapter of the contemporary Arabian history.